

فِي الْعَمَلِ  
وَكُلُّ وُجُوهٍ مُبَارَكَةٌ

شَكِيلٌ قَطْبٌ

دارالشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَنِعْلَمُ أَنَّهُ مُكْتَبٌ ..  
فَلَكَهُ وَمِنْهُ

الطبعة السادسة

١٩٨٣-١٤٠٣ م

الطبعة السابعة

١٩٨٧-١٤٠٧ م

الطبعة الثامنة

٢٠١١-١٤٢٢ م

جامعة جنوب الوادي

© دار الشروق

أستاذ محمد العلّام عام ١٩٧٨

القاهرة : ٨ شارع سعيد بويه المصري -

رابعة العدوية - مدينة نصر

ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني : email : dat@shorouk.com

سید قطب

فی حیاتِ ایام

فی حکمِ و ممن کا

دارالشروع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محورات الآثار

### صفحة

صحوة ليس بعدها سبات . . . . . ٧٠٠٠٠٠

عقيدة حية حفظت لشموهـا قوتها - عقيدة الاسلام خطر  
على الاستهمار - يوم الخلاص قريب ..

منهج لـلـادـب . . . . . ١١٠٠٠٠٠

الـادـب والـقـيم - قـيـمة عمرـالـحـيـاـم - تـصـورـالـاسـلامـلـلـحـيـاـة -  
التـجـدـيدـمـهـمـةـالـاسـلام - الـاسـلامـيـأـلـفـرـاغـالـانـسـان - الرـغـبةـفـيـ  
تكـرـيمـالـانـسـانـلـاـهـتـامـاـبـالـطـبـقـيـةـوـلـاـحـقـدـأـعـلـيـهـا - أـدـبـ  
مـوجـهـ ..

الـاسـلامـحـرـكـةـابـدـاعـيـةـشـامـلـةـفـيـالـفنـوـالـحـيـاـة . . . . . ٢٢٠٠٠

حرـكـةـإـيجـابـيـةـفـيـعـالـمـالـمـنـظـور - تـطـوـيرـ..ـلـاـتـرـقـيـع - لـاـ بدـ  
لـلـقـرـآنـمـنـاـدـرـاكـوـعـلـ ..ـالـاسـلامـوـاحـدـلـاـيـنـقـسـ ..

## صفحة

الرسالة الامامية والضمان الاجتماعي . . . .

حقوق الفرد في النظام الاسلامي - الضمان مسؤولية الفرد  
ومسؤولية الأمة - المساعدة المادية جانب واحد فقط من الضمان  
- التأمين ..

في التاريخ .. فكرة ومنهاج . . . .

نقص في النظرة الاوربية للحادثة الاسلامية - تاريخنا في  
صورته العربية القديمة والاستشرافية - صورة ثالثة للتاريخ لم  
تم - كتابة التاريخ من جديد ومن زاوية جديدة - العوامل  
التي لا بد ان تبرز عند كتابة التاريخ - لا يمكن فصل التاريخ  
الاسلامي عن التاريخ الانساني - كتابة التاريخ من جديد على  
مراحل : الاسلام على عهد النبوة - المد الاسلامي - الانحسار  
- العالم الاسلامي اليوم - تاريخنا ندرس مشوهاً - أخطاء  
التاريخ تقام حواجز بين الأمم ..

طريق وحيد . . . . .

ياماً بعد يوم يتبيّن أن هنالك طريقاً معيناً للشعوب  
الإسلامية كلها في هذه الأرض - طريقاً وحيداً لا ثاني له  
طريق الإسلام ، وطريق التكتل على أساسه .

## صَحْوَةٌ لِيْسَ لَعْدَهَا رُسَمَاتٌ

لو كان مقدراً لهذا العالم الاسلامي أن يوت ملأت في  
خلال القرون الطويلة التي مررت به ، وهو مكبل بالقيود  
وهو في حالة إعياء عن الحركة ، وبعد أن حمل عباءة الحضارة  
الانسانية طويلاً ، وبعد أن تعب فاسترخى ونام ، والاستعمار  
الغربي إذ ذاك فتهيأت له الفرصة ، ودانت له معظم  
أطراف الأرض . وكان ثقله كله على صدر العالم الاسلامي  
النائم !

لو كان مقدراً لهذا العالم الاسلامي أن يوت ملأت في  
خلال فترة الاسترخاء والاعياء . وفي إبان فتوة الاستعمار  
وقوته ... ولكنه لم يمت ... بل انتقض حياً كالمارد الجبار ،  
يحطم أغلاله وينقض أثقاله ، ويتحدى الاستعمار الذي شانح .  
وحيثما مد الانسان ببصره اليوم شعر بهذه الاتفاضة

الحياة وشعر بالحركة والتوفير للنضال ، حتى الشعوب التي ما تزال في أعقاب دور الاسترخاء ، والتي ما تزال مرهقة بانتقال الاحتلال . حتى هذه الشعوب يدرك المتأمل في أحواها أن الحياة تدب في أوصالها ويرى خلال الرماد وميض نار ، توشك أن يكون لها ضرام .

ما الذي احتفظ لهذه الشعوب بحيويتها الكامنة بعد قرون طويلة من النوم والاسترخاء ومن الضعف والخنود ، ومن الضغط والقسر ، ومن الاحتلال البغيض الذي بذل جهده لقطعيع أوصالها وإخاد انفاسها .

إنه عقيدتها القوية العميقية . هذه العقيدة التي لم يستطع الاستعمار قتلها على الرغم من جهود الاستعمار الفكري والروحي والاجتماعي والسياسي ... هذه العقيدة التي تدعوا معتقداتها إلى الاستعلاء لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . كما تدعوه إلى المقاومة والكفاح لتحقيق هذا الاستعلاء ، وعدم الخضوع للقاهرين ، أيًا كانت قوتهم المادية ، لأن القوة المادية وحدها لا تخيف المؤمنين بالله ، جبار السموات والأرض ، القاهر فوق عباده أجمعين .

هذه العقيدة الحية هي التي حفظت لهذه الشعوب المترامية الأطراف قوتها الكامنة ، وبعثتها بعثاً جديداً . والذى يراجع جميع النهضات والانبعاثات التي قامت في هذه الرقعة مقاومة الاستعمار يجدها تستند أصلاً إلى هذه العقيدة.

هذه حقيقة كبيرة تستحق الالتفات لكي ندرك قيمة هذه العقيدة في كفاحنا ، ولكي ندرك ان الاستعمار لم يكن عابتاً ، وهو يحاول تحطيم هذه العقيدة وتحطيم دعاتها في كل أنحاء العالم الاسلامي . فالاستعمار كان يدرك خطر هذه العقيدة على وجوده ، وما قدره الاستعمار كان حقاً ، وقد وجده حقاً ، والصيحات تأخذه من كل جانب ، وأصحاب العقيدة في الله القهار الجبار يقودون الصفوف المكافحة ضد الاستعمار .

لقد بذل الاستعمار أقصى ما كان مستطيناً أن يبذل ، وظن الناس فترة أن الاستعمار قد أفلح ، وأن هذه العقيدة قد نامت إلى غير يقظة . فإذا بها تنتفض في صحوة إلى غير سبات !

وإذا بالعالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه يتباين  
بصيحة واحدة ضد الاستعمار . ويد يده الى كل قضايا  
التحرير ومعاركه في أطراف الأرض . لأن قضية الحرية  
واحدة لا تتجزأ . والعقيدة الاسلامية تتبنى كل قضايا  
التحرير في الأرض ، وتشد أزرها في كل مكان .

وإن يوم الخلاص لقريب . وإن الفجر ليبعث خيوطه .  
وإن النور سيتشقق به الأفق . ولن ينام هذا العالم الاسلامي  
بعد صحوته ، ولن يموت هذا العالم الاسلامي بعد بعثه .  
ولو كان مقدراً له الموت مات . ولن تموت العقيدة الحية التي  
قادته في كفاحه ، لأنها من روح الله ، والله حي لا يموت .

---

# مَسْرَحُ الْأَدَبِ

الأدب – كسائر الفنون – تعبير موح عن قيم حية ينفعها ضمير الفنان . هذه القيم قد تختلف من نفس الى نفس ومن بيضة الى بيضة ، ومن عصر الى عصر ، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة ، والارتباطات فيها بين الانسان والكون ، وبين بعض الانسان وبعض .

ومن العبث أن نحاول تجريد الأدب أو الفنون عامة من القيم التي يحاول التعبير عنها مباشرة ، أو التعبير عن وقوعها في الحس الانساني . فاتنا لو أفلحنا – وهذا متذر – في تجريدها من هذه القيم لن نجد بين أيدينا سوى عبارات خاوية ، أو خطوط جوفاء ، أو أصوات غفل ، أو كتل صماء .

كذلك من العبث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلي للحياة والارتباطات فيها بين الانسان والكون، وبين كون الانسان يشعر بأن له تصوراً خاصاً للحياة أو لا يشعر ، لأن هذا قائم في نفسه على كل حال . وهو الذي يحدد قيم الحياة في نظره ، ويلون تأثيراته بهذه القيم .

عمر الخيام مثلاً كان له تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الانسان والكون . ومن هنا التصور انبعثت كل اี่قاعاته ، وتلوّنت قيم الحياة في نفسه .

لقد تصور الكون كتاباً مغلقاً لا ينفذ العلم البشري الى سطرو واحد من سطوره ، وغيباً بجهولاً يقف الانسان أمام بابه الموصدى دقـه بلا جدوى . وفي هذا التيه لا يعلم الانسان من أين جاء ، ولماذا جاء ؟ ولا يدرى أين يذهب ولا يستشار في الذهاب !

لبست ثوب العمر لم أستشر  
وحررت فيه بين شقى الفكر

وسوف انضوه برغبي ولم  
أدرك لماذا جئت أين المفر !  
أُفنيت عمري في اكتناء القضاء  
وكشف ما يحجبه في الحفاء  
فلم أجد أسراره وانتقضى  
عمري وأحسست دبيب الفناء  
من هذا التصور الخاص للعلاقة بين الانسان والكون  
استمد الخيام كل تصوراته لقيم الحياة التي تأثر بها فنه .  
فهذه الحياة الجھولة المصدر والمصير ، في هذا العماء الذي  
يعيش فيه الانسان لا تستحق أن يحفلها ويعني نفسه بها .  
ولإذن فلا ضرورة للوعي الذي لا يؤدي الى شيء .

أفق وصب المخراة أنعم بها  
واكتشف خبايا النفس من حجبها  
ورو أوصالي بها قبلما  
يصاغ دن<sup>٣</sup> المخ من تربها  
سأتحي الموت حيث الورود  
وينمحي اسمي من سجل الوجود

## هات اسكنها يا سنى خاطري فغاية الأيام طول المجدود

ولو اختلف تصور **الخَيْم** للحياة والارتباطات فيها بين الانسان والكون، لاختلفت قيمها في حسه، واختلف اتجاهه الفني بكل توكيده ، لو تصور مثلاً أنه قطرة في نهر الحياة ، ولكنها قطرة تخس بأهداف النهر ، من المضي والتدفق والإرواء والإحياء ، لكن للحياة في نظره قيم أخرى . ولو تصور أنه نفحة من روح الله تلبست بجسده ، ليكون خليفة الله في هذه الأرض ، ينشيء فيها ويبدع لكن للحياة في نظره قيم أخرى .. كذلك لو تصور أنه فرد في طبقة ، وأن هناك صراعاً بين طبقته والطبقات الأخرى على نحو ما يتصور بعض الناس لاختلاف الأمر .. وهكذا ..

كل تصور خاص للحياة . وللارتباطات فيها بين الانسان والكون، من شأنه أن ينشيء قيمًا تتأثر بها الأداب والفنون ، سواء شعر أصحابها انهم متاثرون بهذه القيم

أم لم يشعروا .. ولكن التصورات تختلف وفقاً لعوامل  
ودوافع غير متفق عليها حتى الآن .

والإسلام تصور معين للحياة ، تنبثق منه قيم خاصة  
لها ، فمن الطبيعي إذاً أن يكون التعبير عن هذه القيم ،  
أو عن وقعتها في نفس الفنان ، ذات لون خاص .

وأهم خاصية للإسلام أنه عقيدة ضخمة جادة فاعلة خالقة  
منشئة ، تلا فراغ النفس والحياة ، وتستنفد الطاقة  
البشرية في الشعور والعمل ، وفي الوجدان والحركة ،  
فلا تبقى فيها فراغاً للقلق والخيرة ، ولا للتأمل الضائع  
الذي لا ينشيء سوى الصور والتأملات .

وأبرز ما فيه هو الواقعية العملية حتى في مجال  
التأملات والأشواق . فكل تأمل هو إدراك أو محاولة  
لإدراك طبيعة العلاقات الكونية أو الإنسانية ، وتوسيع  
الصلة بين الخالق والمخلوق ، أو بين مفردات هذا الوجود ،  
وكل شوق هو دفعه لإنشاء هدف ، أو لتحقيق هدف ، منها  
علا واستطال .

وقد جاء الاسلام لتطوير الحياة وترقيتها ، لا للرضا  
بواقعها في زمان ما أو في مكان ما . ولا ب مجرد تسجيل ما  
فيها من دوافع وكوابح ومن تزعات وقيود . سواء في فترة  
خاصة ، أو في المدى الطويل .

### التتجدد مهمه الاسلام .

مهمة الاسلام داعماً أن يدفع بالحياة الى التجدد والتطور  
والرقى ، وأن يدفع بالطاقات البشرية الى الانشاء والانطلاق  
والارتفاع .

ومن ثم فالادب او الفن النبثق من التصور الاسلامي  
للحياة ، قد لا يحفل كثيراً بتصوير لحظات الضعف البشري  
ولا يتسع في عرضها ، وبطبيعة الحال لا يحاول أن ييرزاها ،  
فضلاً على أن يزيّنها بمحجة أن هذا الضعف واقع ، فلا  
ضرورة لإنكاره او إخفائه .

إن الاسلام لا ينكر أن في البشرية ضعفاً . ولكنه  
يدرك كذلك أن في البشرية قوة ويدرك أن مهنته هي

تغليب القوة على الضعف ، ومحاولة رفع البشرية وتطويرها  
وترقيتها . لا تبرير ضعفها أو تزيينه .

والأدب أو الفن المنشق عن التصور الإسلامي للحياة  
قد يلم أحياناً بلحظات الضعف البشري ، ولكنه لا يلبث  
عندها إلا زيثاً يحاول رفع البشرية من وهذه هذه اللحظات ،  
واطلاقها من عقال الضرورة وضفتها .

وهو لا يصنع هذا متأثراً بالمعنى الضيق لفهم «  
الأخلاق » ، إنما يصنعه متأثراً بطبيعة التصور الإسلامي  
للحياة ، وبطبيعة الإسلام ذاته في تطوير الحياة وترقيتها ،  
وعدم الاكتفاء بواقعها في لحظة أو فترة .

والنظرية الإسلامية لا تؤمن بسلبية الإنسان في هذه  
الأرض ، ولا بضالة الدور الذي يؤديه في تطوير الحياة ،  
ومن ثم فالأدب أو الفن المنشق من التصور الإسلامي  
لا يهتف للكائن البشري بضعفه ونقصه وهبوطه ، ولا يلأ  
فراغ مشاعره وحياته باطياف اللذائذ الحسية ، أو بالتشهي  
الذي لا يخلق إلا القلق والخيرة والحسد والسلبية . إنما يهتف

هذا الكائن بأشواق الاستعلاء والطلاقة ، ويملأ فراغ حياته  
ومشارعه بالأهداف البشرية التي تطور الحياة وترقيها ،  
سواء في ضمير الفرد أو في واقع الجماعة .

وليست الخطاب الوعظية هي سبيل الأدب أو الفن  
المنشق من التصور الاسلامي ، فهذه وسيلة بدائية ليست  
عملا فنياً بطبيعة الحال .

كذلك ليست وظيفة هذا الأدب أو الفن هي تزوير  
الشخصية الانسانية أو الواقع الحيوى ، وابراز الحياة  
البشرية في صورة مثالية لا وجود لها

إنما هو الصدق في تصوير المقدرات الكامنة او الظاهرة  
في الإنسان . والصدق كذلك في تصوير أهداف الحياة  
اللاقمة بعالم من البشر ، لا بقطيع من الذئاب ! الأدب او  
الفن المنشق من التصور الاسلامي أدب او فن موجه .  
بحكم ان الإسلام حركة تطوير مستمرة للحياة ، فهو لا  
يرضى بالواقع في لحظة او جيل ، ولا يبرره او يزيشه لمجرد  
انه واقع . فهمته الرئيسية هي تغيير هذا الواقع وتحسينه .

والايحاء الدائم بالحركة الخالقة النشئة لصور متتجدة من الحياة .

وقد يلتقي في هنا مع الأدب او الفن الموجه بالتفسير المادي للتاريخ . يلتقي معه لحظة واحدة . ثم يفترقان .

فالصراع الطبقي هو محور الحركة التطويرية في ذلك الفن ، أما الاسلام فلا يعطي الصراع الطبقي كل هذه الاهمية . لأن نظرته الى الاهداف البشرية أوسع وأرقى ، انه لا يرضى بالظلم الاجتماعي ولا يقره ولا يهتف للناس بالرضى به أو التذاذه ، وهو يعمل – فيما يعلم – لمكافحته وتبيديله . ولكنها لا يقيم حركته التطويرية على الحقد الطبقي بل على الرغبة في تكريم الانسان ورفعه عن درك الخضوع للحاجة والضرورة ، واطلاق انسانيته المبدعة من الانحصار في الطعام والشراب وجوعات الجسد على كل حال .

فالمحور الذي تدور عليه حركة التطوير في الفكر الاسلامية هو تطوير البشرية كلها ودفعها الى الانطلاق

والارتفاع ، والى الخلق والابداع . وفي الطريق يلم بالام الطبقات وقيودها ليحططم هذه القيود ، ويزيل تلك الالام .

انه لا يحقر آلام البشر . ولكنه لا يستخدم الحقد الطبيعي لازالتها . لاعتباره ان الحقد ذاته قيد يحول دون انطلاق البشرية الى آفاق أعلى ١

اما كيف يعالج هذه الالام علاجاً واقعياً عملياً ، لا وعظياً ولا خيالياً ، فمجاله ليس في صفحة الأدب .

المهم ان تقرر هنا ان الأدب او الفن الإسلامي أدب او فن موجه . موجه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتباطات الكائن البشري فيها . وموجه بطبيعة الفكرة الإسلامية ذاتها وهي طبيعة حر كية دافعة للانشاء والابداع ، وللترقى والارتفاع .

واخيراً فان الاسلام لا يحارب الفنون ذاتها ، ولكنه يعارض بعض التصورات والقيم التي تعبر عنها هذه الفنون ، ويقييم مكانها – في عالم النفس – تصورات وقيم اخرى ، قادرة على الایحاء بتصورات جمالية ابداعية ، وعلى ابداع

صور فنية أكثر جمالاً وطلقة . تنبثق ابتساقاً ذاتياً من طبيعة التصور الاسلامي ، وتستكيف بخصائصه المميزة .  
وللادب والفن الاسلامي اذن منهجه . منهجه محمد ،  
يلتزم في كل مجالاته .

وهذه الكلمة هي الخط الاول في تصوير هذا المنهج .  
وبها نفتح المجال لدراساته تقريراً وشرعاً، ومعارضاً وتقديماً  
لجميع الأقلام ، ولجميع الاتجاهات .

## الاسلام حركة ابداعية شاملة في الفتن والحيات

يصعب أن نفهم أي جانب منفرد من جوانب الاسلام المتعددة ، ما لم نفهم طبيعة الاسلام ، كوحدة متكاملة ..

ليس الاسلام شعائر تؤدي فحسب ، وليس الاسلام دعوة اخلاقية فحسب ، كذلك ليس الاسلام مجرد نظام للحكم ، او نظام للاقتصاد ، او نظام للعلاقات الدولية .. ان هذه كلها جوانب منفردة من جوانب الاسلام المتعددة ولكنها ليست هي كل الاسلام .

ان الاسلام حركة ابداعية خالقة ، تستهدف انشاء حياة انسانية غير معهودة قبل الاسلام ، وغير معهودة في سائر النظم الخرى التي سبقت الاسلام أو لحقته .. تلك الحركة الابداعية الخالقة تنشأ عن تصور معين للحياة

بكل قيمها وكل ارتباطاتها ، تصور جاء به الاسلام ابتداء وهي حركة تبدأ في أعماق الضمير ثم تتحقق نفسها في عالم الواقع ، ولا يتم تامها إلا حين تتحقق في عالم الواقع .

وهذا هو أحد الفوارق الرئيسية بين طبيعة «المالية» كما عرفت في الغرب ، وطبيعة الاسلام .. إن المالية أحلام تظل أحلاماً لأنها تتطلع الى عالم غير منظور ، وغير مطلوب تحقيقه ، اذ هو بطبيعته غير قابل للتحقيق في عالم الأرض ، اما الاسلام فهو حركة ابداعية لتحقيق تصور معين للحياة قابل للتحقيق ، وفي طبيعة النفس البشرية استعداد لتحقيقه ، حين تستجيب لدعوته وحين تتأثر به تأثراً إيجابياً لا يكتفي بالمشاعر أو الشعائر .

وحين تستقر العقيدة الاسلامية في الضمير البشري استقراراً حقيقياً ، فإنه يستحيل عليها أن تبقى ساكنة ، يستحيل أن تظل مجرد شعور وجداً في أعماق الضمير . إنها لابد أن تندفع لتحقيق ذاتها في عالم الواقع ، ولتتمثل حركة إيجابية ابداعية في عالم المنظور ، حركة تبدع الحياة كلها ، وما ينشأ عنها من ألوان وأطياف وتعمير .

ورجال الصدر الأول – رضوان الله عليهم – عندما تلقوا القرآن تلقياً حقيقياً شعروا أن كيابهم النفسي كله يتزلزل ليعاد تكييده من جديد ، وفق ذلك التصور الجديد الذي جاءهم به الاسلام ، وان الكيان القديم الذي بني في الجاهلية ، وفق تصورات معينة للحياة ، ووفق واقع معين للحياة ، لا يمكن أن يبقى ولا أن يثبت ولا أن يردع ترقياً بالتصور الاسلامي الجديد ، بل لا بد من زلزلة وتصدع كاملين في الكيان القديم ، ليعاد انشاؤه وفق هندسة جديدة وفق تصميم جديد .

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائضاً متصدعاً من خشية الله »

ولقد تصدع ما هو أقوى من الجبل ، تصدع كياب النفس البشرية التي مسها هذا القرآن مساً حقيقياً ، ليعاد تركيبها على نسق غير مسبوق .

حال اذن حين تم العقيدة الاسلامية في قلب أن تظل قابعة سلبية في هذا القلب ، أو أن تتحول الى عبادات وشعائر ثم تنتهي هناك ، إنها لا بد أن تنطلق محاولة ابداع

الحياة كلها وفق التصور الاسلامي للحياة وفي الطريق تأخذ العبادات والشعائر لأنها القاعدة التي تقوم عليها الصلة بين القلب البشري وخالقه ، هذه الصلة التي يستمد منها العون والتصميم والاندفاع ، كما تأخذ الفنون والأداب والتصورات وكل ما يصدر عن النفس البشرية من تعبير .

وقد يكون طريق الابداع للحياة الجديدة هو تطويرها ولكنه لن يكون ترقيتها ، وفرق بين أن يكون لديك تصميم معين للبناء تنفذه شيئاً فشيئاً ، وان ترقص ببناء قاماً على تصميم آخر ، ان هذا الترقيع لن يتحقق لك في النهاية بناء جديداً !.

ان الاسلام يرسم صورة معينة للحياة البشرية ، صورة متكاملة ، يحدد فيها النموذج البشري الذي يريد تكوينه ، والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تربط هذا المجتمع ، ونظام الحكم وال العلاقات الدولية التي تنظم الحياة العامة .

هذه الصورة المعينة التي يرسمها الاسلام للحياة لا يمكن

تحقيقها بمجرد قراءة القرآن تجويداً وترتيلأً، ولا بمجرد تسبيح الله بكرة وأصيلاً، إنما هي تتحقق بترجمة المدلولات القرآنية إلى واقع عملي في حياة البشر، وبترجمة التسبيح إلى حركة وجدانية تحول إلى حركة منظورة في عالم الواقع، وبترجمة المشاعر إلى صور تعبيرية ليس الهدف فيها هو مجرد التعبير، ولكن ما وراءه من حركة وتطور ...

وهذا المعنى كان مستقرأً استقراراً تلقائياً في نفوس رجال الصدر الأول – رضوان الله عليهم – ومن ثم ممكنتهم أن يغيروا واقع الحياة في فترة تشبه الأحلام .

روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

والرجل يقول: «حتى يعرف معانيهن» والمعرفة شيء غير مجرد الفهم .. المعرفة أدرك كامل ، وانفعال بهذا الإدراك يتم في أعماق النفس وأغوار الضمير .. ثم «العمل بهن» .

بهذا الادراك الكامل لوظيفة القرآن أمكن انشاء حياة جديدة كاملة لم يعرفها العرب قبل الاسلام ، وبمثل هذا الادراك الكامل يمكن أن يتحقق الاسلام ذاته في عالم النفس وفي عالم الواقع في كل زمان ومكان .

وحين يتم التكيف الشعوري في النفس البشرية بالتصور الاسلامي الابداعي للحياة ، فإن أثر هذا التكيف يبدو في كل ما يصدر عن هذه النفس ، لا على وجه الالزام والارغام ، ولكن على وجه التعبير الذاتي عن حقيقة هذه النفس ، يستوي في هذا التعبير أن يكون صلة في المحراب أو سلوكاً مع الناس ، أو عملاً فنياً وجهته تصور المجال وتصور الحياة بما فيها من القبح والجمال .

وحيثما أقول أن الأدب الاسلامي أدب موجه ، وأن له منهجاً يلتزم به ، فلا أعني بذلك التوجيه الاجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ ، إنما أعني أن تكيف النفس البشرية بالتصور الاسلامي للحياة هو وحده سيلهمها صوراً من الفنون غير التي يلهمها إليها

التصور المادي أو أي تصور آخر ، لأن التعبير الفي لا يخرج عن كونه تعبيراً عن النفس ، كتعبيرها بالصلة أو السلوك في واقع الحياة ، وليس الأدب الإسلامي هو وحده الذي يتحدث عن الإسلام أو عن حقبة من تاريخه أو عن شخص من أشخاصه ، إنما هو التعبير الناشيء عن امتلاء النفس بالشاعر الإسلامية وكفى .

ولا يمكن تقسيم الإسلام إلى أجزاء ، وفصل جزء منه عن الآخر ، لا في طبيعة الإسلام ولا في آثاره في النفس البشرية أو في واقع الحياة .

فليس الإسلام تفسير آية أو حديث في جانب ، ثم دعوة إلى الجهاد في جانب ، ثم عرض طرف من السيرة في جانب ، ثم أدب أو فن مستقل في جانب ، ثم نظام حكم محلي أو دولي في جانب .

كلا .. إن الإسلام تصور كامل للحياة ، ومنهاج كامل للحياة ، ثم هو حركة ابداعية لا تقف عند الواقع بما فيه من خطأ وصواب ، ومن قوة وضعف ، ومن نقص

وكال ، كما أنها لا تقف عند تصور تجريدى مثالي تعيش عليه في عالم الوهم والخيال .

ان الاسلام يرسم صورة للحياة في النفس ، ويكيف النفس بهذه الصورة ، فتندفع في حركة واعية مبدعة الى تحقيقها في عالم الواقع بتطوير الحياة كلها في هذا الاتجاه ، والادب والفن يشتركان في عملية التطهير والتغيير ، شأنهما شأن كل حركة أخرى في موكب العقيدة الاسلامية الشامل والصلة والجهاد في سبيل الله ، ليسا حركتين منفصلتين اما هما حركة استمداد للطاقة وحركة تصريف لهذه الطاقة ، فهيا متصلتان كل الاتصال .

هذا التصور الكامل لطبيعة الاسلام هو الذي نحب أن يستقر في أخلاق المسلمين ، وفي المقدمة دعوة الاسلام في هذا العصر ، لأنه التصور الذي استقر في أخلاق الصدر الأول فأبدع الحياة الاسلامية الجديدة ، فكانت بداعا في عالم الحياة كلها وما تزال .

---

## الرسالة الإسلامية والفنان الاجتماعي

كانت الرسالة الإسلامية حدثاً هاماً في تاريخ البشرية .  
بل كانت مفرق الطرق في خط سير التاريخ الإنساني .

لقد طلع الإسلام على البشرية بفكرة جديدة عن الحياة  
لها . فكرة لم تتطور عن الأفكار التي كانت سائدة قبلها ،  
إنما هي جديدة على البشرية تماماً ، نابعة من معين غير بشري  
أصلاً .. ذلك أنها كانت من وحي الله ، لتكون أمة جديدة  
غير مسبوقة النسق ، يقول عنها الله سبحانه في كتابه  
ال الكريم :

« كنتم خير أمة اخرجت للناس »

هذه الفكرة الجديدة عن الحياة كلها ، كانت لها آثارها في كل تصورات البشر في الحياة ، وفي كل ارتباطاتهم وعلاقتهم .. ومنها مسألة التكافل الاجتماعي ، التي تشتمل فيما تشتمل على قاعدة الضمان الاجتماعي .

ان الضمان الاجتماعي اجراء مالي ، تقوم به الدولة لاعانة من يعجزون عن العمل والكسب ، لسبب من الاسباب ، دائم أو مؤقت ، كلي أو جزئي .

أما التكافل الاجتماعي – والضمان الاجتماعي – جزء منه صغير ، وجانب منه ضيق ، والمساعدات المالية التي تؤديها الدولة للعاطلين عن العمل والكسب ، ليست سوى جانب من المساعدات المالية التي يقررها النظام الاسلامي ، لكل فرد في الجماعة الاسلامية .

ان لكل فرد في النظام الاسلامي حقاً مفروضاً ، وهو ان يحصل على الكفاية من مقومات الحياة – المادية والمعنوية على السواء .

لكل فرد حق الطعام والشراب واللباس والمركب والسكنى ، وحق الزواج ايضاً ، بوصفها ضروريات تتعلق بحفظ الحياة وتلبية الحاجات الاولية ، ويقاس عليها العلاج والدواء ، ولكل فرد حق التعلم – لأن العلم فريضة – وحق العمل ما دام قادرًا عليه ، وحق اعداده للعمل وتمكنه منه.

وعن طريق العمل والاعداد له والتمكن منه يتم أولاً سد الحاجات الضرورية . فلن لم يجد عملاً وهو راغب فيه ، أو عجز عن العمل كلياً أو جزئياً ، دائمًا أو وقتها ، فهنا يحيى دور الضمانات الاجتماعية في الاسلام لسد حاجاته حتى يصبح هو بنفسه قادرًا على سد هذه الحاجات . ومن ثم فالتكافل الاجتماعي في الاسلام ليس مجرد نظام للبر والاحسان انما هو نظام للاعداد والاتاحة والضمان .

ولكن هنا كله كما قلت ، ليس إلا جانبياً واحداً من جوانب التكافل الاجتماعي كما يعنيه الاسلام .

ان التكافل الاجتماعي في الاسلام واجب عام ، على كل فرد في الجماعة الاسلامية منه تصيب ، ونصيب الدولة منه

وعلى كل مجموعة محلية من الأمة ، ثم على الأمة كلها في النهاية لا يتميز فيها حاكم عن محكوم . والقاعدة العامة في هذه التبعات المشتركة هي قول الرسول الكريم ( كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ) .

وهكذا تداخل التبعات وتتوالي ، وتشمل كل فرد حاكماً أو محكوماً ، والضمان الاجتماعي بدلوله المحدود يدخل في مشتملات هذا التكامل العام . ثم يمضي التكافل الإسلامي في مجالاته الأخرى ، حتى يشمل جوانب الحياة جميعها .

وحين يولد المولود في الدولة الإسلامية تترتب له مع حق الحياة ، سائر الحقوق التي تحفظ له الحياة ، والتي تجعل الحياة كريمة لاثقة ببني الإنسان ، والتي ترقى هذه الحياة وترفعها لتقبل عند الله . وعليه في مقابل هذه الحقوق التي يكفلها له النظام الإسلامي مجرد ولادته واجبات لربه

وواجبات لانسانيته وواجبات للجماعة التي يعيش فيها . هذه الواجبات متوازنة مع تلك الحقوق ، ( ولا تظلم نفس شيئاً) ولا تكلف نفس الا وسعها ، والجانب الاقتصادي في هذه الواجبات وفي تلك الحقوق هو أحد الجوانب لا كلها . لأن الحياة في نظر الاسلام أوسع آماداً وأبعد آفاقاً من مجرد الجانب الاقتصادي – وان كان الاسلام لا يغفل من حسابه أهمية العوامل الاقتصادية ، بل ينحى العناية التي تستحقها في واقع حياة الانسان . ولقد قلنا إن المساعدات المادية المفروضة للعجزين عن الكسب ، لسبب من الأسباب ، ليست سوى جانب من المساعدات الكلية التي يقررها النظام الاسلامي لكل فرد في الجماعة الاسلامية .

ونضرب لذلك مثالاً ( حق التعلم وحق التربية والتهذيب ) - والاسلام يجعل العلم فريضة على كل فرد ومن ثم يجب على الجماعة ان تتحقق له هذه الفريضة حين يعجز عنها – والاطفال لا يملكون تحقيق هذه الفريضة بأنفسهم لأنفسهم ومن ثم يصبح تحقيقها من واجب الجماعة الأقرب فالأقرب من أهل الطفل ، فإذا عجزوا وقع عبئها على

الدولة باعتبارها الجهة المنوط بها تشريعياً إقامة الفرائض والتربيـة - ويدخل فيها إعداد الفرد للحياة والعمل والاتـاج حق لـكل فـرد ، والجـمـاعة باجهـزـتها الـخـلـفـة ، جـهـازـ الـاسـرة وجـهـازـ الجـمـاعـاتـ الـمـلـحـلـية ، وجـهـازـ الـدـوـلـةـ فيـ النـهـاـيـة ، الجـمـاعـةـ باجهـزـتهاـ كلـهاـ مـكـلـفةـ بـتـحـقـيقـ هـذـاـ الـواـجـبـ .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو فرض كنـاـيـةـ عـلـىـ الجـمـاعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ لـاـ بـدـ أـنـ تـقـومـ بـهـ طـائـفـةـ منـهـ - هو نوع من التـرـبـيـةـ الـعـامـةـ فـيـ الـبـيـئـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وأـحـادـيـثـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ - تـتوـارـدـ تـرـىـ فـيـ التـوـجـيـهـ إـلـىـ الـقـيـامـ بـوـاجـبـ التـرـبـيـةـ وـالتـأـدـيـبـ «ـلـاـنـ يـؤـدـبـ الرـجـلـ وـلـدـهـ خـيـرـ مـنـ أـنـ يـتـصـدـقـ بـصـاعـ» ... «ـمـاـ نـخـلـ وـالـدـوـلـهـ مـنـ نـخـلـةـ أـفـضـلـ مـنـ أـدـبـ حـسـنـ» .. «ـمـنـ عـالـلـ ثـلـاثـ بـنـاتـ اوـ ثـلـاثـ أـخـوـاتـ ، اوـ اـخـتـينـ اوـ بـنـتـيـنـ فـادـهـنـ وـأـحـسـنـ إـلـيـهـنـ وـزـوـجـهـنـ فـلـهـ الـجـنـةـ»

فـاماـ حـقـ الـعـمـلـ وـتـمـكـينـ الـقـادـرـينـ عـلـيـهـ فـتـشـهـدـ لـهـ  
الـحـادـثـةـ التـالـيـةـ مـنـ سـنـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ :

روـيـ البـخـارـيـ وـغـيـرـهـ انـ رـجـلاـ جـاءـ إـلـىـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ

يسأله مساعدة فلم يعطه مالاً ، ولكنه دعا بقدوم ودعا بيد من خشب سواها بنفسه ، ووضعه فيها ، ثم دفع بها الى الرجل وأمره أن يذهب الى مكان عينه له وكلفه أن يعمل هناك لكسب قوته وكلفه ان يعود إليه بعد أيام ليخبره عن حاله .

و عمل الرسول - ﷺ - تشريع ، وهو يضع على كاهل الدولة تمكين القادرين على العمل منه ، مع ملاحظتهم لمعرفة احوالهم في العمل .

وكذلك ثبت حق العلاج والدواء من تصرف الرسول مع القوم الذين ساعت صحتهم في المدينة المنورة ، فارسل بهم ﷺ - الى مكان صحي بظاهرها بجانب إبل الصدقة ليشربوا من ألبانها حتى صحت أجسامهم ... وهكذا نجد الاسلام سابقاً بقرون وقرون عقلية الضمان الاجتماعي الذي ظهر في القرن الاخير . كما نجد تقديره للحياة أوسع وأرحب وتقريره للحقوق والواجبات أشمل وأدق .

ولو نرجع الى المدى لتتبين هذا الدين في سننه القويم « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض .. »

## في التاريخ .. فكره ومنهج

التاريخ ليس هو الحوادث ، إنما هو تفسير هذه الحوادث ، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخلفية التي تجمع بين شتاها ، وتجعل منها وحدة متلاصكة الحلقات ، متفاعلة الجزيئات ، متعددة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان .

ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها ، ويربطها بما قبلها وما تلاها ، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها : روحية وفكيرية وحيوية ومقومات الحياة البشرية جميعها : معنوية ومادية . وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة ويستجيب لوقوعها في مداركه ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد تخرج وتحيص وتقدير .

فاما إذا كان يتلقاها بادىء ذي بدء وهو مغطى الروح أو الفكر أو الحس عن عمد أو غير عمد - فلن هذا التعطيل التعمد أو غير التعمد ، يحرمه استجابة معينة للحادثة التاريخية أي أنه يحرمه عنصراً من عناصر إدراكها وفهمها على الوجه الكامل . ومن ثم يجعل تفسيره لها مخطئاً أو ناقصاً .

هذه الاستجابة الناقصة هي أول ظاهرة تتسم بها البحوث العربية عن الموضوعات الإسلامية ، ذلك أن هناك عنصراً ينقض الطبيعة الغربية - بصفة عامة - لادراك الحياة الشرقية بصفة عامة والحياة الإسلامية على وجهه الخصوص .. عنصر الروحية الغيبية - وبخاصة في الصور الحديثة بعد غلبة النظريات المادية ، والطريقة التجريبية على وجه أخص - وكلما كانت هذه الموضوعات الإسلامية ذات صلة وثيقة بالفترة الأولى من حياة الإسلام كان تقص الاستجابة إليها أكبر في العقلية الغربية الحديثة .

وقد ذكرت عنصر الروحية الغيبية على وجه التخصيص لأنه أظهر ما يليو فيه هذا النقص في الطبيعة

الغربيّة، وفيه تكمن معظم أوّل جهـ الاختلاف بين الطبيعتين وهي شتـ وكثـرة .

هذه المقدمة الصغيرة لا بد منها لبيان ما في تناول المؤرخين الغربيـن للتاريخ الإسلاميـ من نقص طبـيعيـ في الـادرـاكـ ، ونقص طبـيعيـ في الفـهمـ ، ونقص طبـيعيـ في التـفسـيرـ والـتصـوـيرـ . فـانعدـامـ عـنـصـرـ مـنـ عـنـاصـرـ الـاستـجـابـةـ لـلـحـادـثـةـ أـوـ ضـعـفـهـ ، لـابـدـ أـنـ يـقـابـلـهـ نـقـصـ فيـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـنـظـرـ إـلـىـ الـحـادـثـةـ مـنـ شـتـىـ جـوـانـبـهاـ . وـضـيـاعـ عـنـصـرـ مـنـ عـنـاصـرـ الـتـقـوـيمـ وـالـحـكـمـ ، لـاـ يـؤـمـنـ مـعـهـ سـلـامـةـ هـذـاـ الـحـكـمـ . أـوـ عـلـىـ الـأـقـلـ لـاـ يـسـلـمـ عـلـىـ عـلـاتـهـ .

هـذـاـ النـقـصـ يـعـدـ عـيـبـاـ فيـ منـهـجـ الـعـمـلـ التـارـيـخـيـ ذـاـتهـ ، وـلـيـسـ بـجـرـدـ خـطـأـ جـزـئـيـ فيـ تـفـسـيرـ حـادـثـةـ أـوـ تـصـوـيرـ حـالـةـ . وـمـنـ ثـمـ فـالـنـهـجـ الـأـورـيـ فيـ الـبـحـثـ يـسـبـبـ تعـطـيلـ أحـدـ عـنـصـرـ الـاسـتـجـابـةـ سـوـاءـ كـانـ ذـلـكـ نـاشـئـاـ عـنـ الطـبـيعـةـ الـغـرـبـيـةـ ذـاـتهـ وـمـلـابـسـاتـ حـيـاتـهاـ الـبـيـئـيـةـ وـالتـارـيـخـيـةـ ، أـوـ نـاشـئـاـ عـنـ تـعـمـدـ الـمـؤـرـخـ الـأـورـيـ تعـطـيلـ هـذـاـ الـعـنـصـرـ ، اـسـتـحـابـةـ لـنـهـجـ مـعـينـ

في الدراسة . هذا النهج غير صالح لتناول الحياة الاسلامية بل لتناول الحياة الشرقية على وجه العموم . ولكن عدم الصلاحية يتجلی في جانب الدراسات الاسلامية أو يوضح وأقوى .

ومنة سبب للشك في قيمة الدراسات التاريخية الغربية للحياة الاسلامية .

ذلك أنه لا يخفى أن كل مرئي مختلف شكله باختلاف زاوية الرؤية . وكذلك الشأن في الأحداث والوقائع . والأوربي بطبيعته ميال إلى اعتبار أوروبا هي محور العالم ، فهي نقطة الرصد في نظره ، ومن هذه الزاوية ينظر إلى الحياة والناس والأحداث . ومن هنا تتخذ في نظره اشكالاً معينة ليس من يملك الجزم بأنها أَصْحَّ الأشكال ، وهو يدركها في هذه الأوضاع ويفسرها ويحكم عليها كما يراها .

وإذا كان بدبيعاً أن أوربا لم تكن هي محور العالم في كل عصور التاريخ ، وكان الاوربي لا يملك اليوم ان يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر الى الماضي .. ادركتنا

مدى انحراف الزاوية التي ينظر بها الأوروبي للحياة الاسلامية التاريخية ، ومدى اخطاء الرؤية التي يضطر إليها اضطراراً ، ومدى اخطاء التفسير والحكم الناشئة من هذه الرؤية المعينة .

ذلك كله على افتراض النزاهة العلمية المطلقة ، واتفام الأسباب التي تؤثر على هذه النزاهة ، فإذا نحن وضعنا في الحساب ما لا بد من وضعه ، وما لا يمكن جدياً إغفاله من أسباب ملحة قاهرة عميقة طويلة الأجل ، متتجدة البواعث تؤثر في نظرة الأوروبي للإسلام ، وللحياة الاسلامية ، وللعالم الاسلامي . من اختلاف في العقيدة ، إلى كراهية لهذا الدين وأهله ، إلى ذكريات تاريخية مريرة في الاندلس وفي بيت المقدس وفي الاستانة ، وفي سواها ، إلى صراع سياسي واقتصادي واستعماري ، إلى نزوات شخصية والتواعات فكرية .. إلى آخر تلك البواعث القديمة المتتجدة أبداً .

إذا نحن وضعنا في الحساب ذلك كله – ولا بد أن نضعه لنضع الأمور في نصابها – وأضفنا إليه خطأ الرؤية .. أمكن أن نقدر قيمة الدراسات الاوربية في الحقل الاسلامي

وبخاصة في التاريخ - قدرها الصحيح ، وأن تحرز التحرز العلمي الراجب لا من قبول هذه الدراسات على علتها ، بل من قبول المنهج الذي قامت عليه ، أو محاولة اتباعه في دراساتنا الإسلامية على وجه خاص .

ان التاريخ الإسلامي يجب أن تعاد كتابته على أساس جديدة وبنهج آخر .

ان هذا التاريخ موجود اليوم في صورتين : صورته في المصادر العربية القديمة ، وهذه من التجوز الشديد أن تسمى تاريخاً . بل هي لا يمكن أن تحمل هذا الاسم . فهي نثار من الحوادث والواقع والحكايات والاحاديث والنف والملح والخرافات والاساطير والروايات المتضاربة والاقوال المتعارضة على كل حال .. وان كانت بعد ذلك كله غنية كمصدر تاريخي بالمواد الخامدة التي تسعف من يريد الدراسة ويوجه الصبر ويحاول الغربلة .. بالمواد الأولية الازمة له في بناء هيكل التاريخ .

وصورته في المصادر الأوروبية - وبخاصة في أعمال

المستشرقين – وهي الصورة التي ثحدثنا من قبل عنها ، وألقينا عليها في إجمال بعض الأضواء . وهي تعتمد في جملتها على المصادر العربية القديمة . وهي على ترتيبها وتنسيقها تتسم بتلك السمات التي لا تطمئن الباحث الوعي إليها . وهي في أحسن صورها دراسة من الظاهر للحياة الإسلامية – اذا صح هذا التعبير – وخير ما فيها هو الجهد في جمع النصوص وتحريرها وتنسيقها والموازنة بين الروايات المختلفة من ناحية السند الخارجي ، لا من ناحية الادراك الداخلي . لأن هذا الادراك هو الذي يحتاج الى تلك الحاسة الناقصة في شعور الغربيين تجاه الحياة الإسلامية كما أسلفنا ، فضلاً عن الفرض في كثير من الأحيان والموى ، مما يخل بنزاهة الموازنة ، فضلاً عن فقد عنصر التجاوب الكامل مع المؤثرات جميعاً .

هناك أجزاء لم يتم من صورة ثلاثة للتاريخ الإسلامي – لم نشا ان نعتبرها في الفقرتين السابقتين ، لأنها – فضلاً على كونها أجزاء معدودة – لا تزيد على ان تكون ظللاً باهته او كاملة للدراسات الأوروبية ، حتى وهي تناقش أحياناً

او تعارض هذه الدراسات . فهـي اولاً : تتبع المنهج الغربي في صيـمه دون زيادة ، وهي ثانياً : تستمد عناصرها من الدراسات الغربية في الغالـب ، وهي ثـالثاً : متأثرة بالايمـاعات الغربية من ناحـية زـاوية الرؤـية . فـهي لا تقـف في المـركـز الاسلامـي لـتطلـع منه عـلى تلك الحـياة ، لأنـها لـيـست من القـوـة والأصـالة بـحيـث تـجدـ نفسها في خـضـم الثقـافـات الغربية ، لـتـفـهمـ الاسلام بـعـقـلـية أصـيلـة وـعلـى ضـوءـ كـذـلكـ أصـيلـ . والـعـقـلـيةـ التي تـحـكـمـ عـلـىـ الحـيـاةـ اـسـلامـيـةـ يـنـبـغـيـ انـ تكونـ فيـ صـيـمهـ إـسـلامـيـةـ مـشـرـبةـ بـالـروحـ اـسـلامـيـ ، لـكـيـ تـدرـكـ العـنـاصـرـ الـاسـاسـيـةـ فيـ هـذـهـ الحـيـاةـ ، وـتـحـسـبـهاـ ، وـتـجـاـوبـ معـهاـ ، فـتـسـكـمـلـ كـلـ عـنـاصـرـ التـفـسـيرـ وـالتـقـدـيرـ .

يـجـبـ إذـنـ انـ تـعـادـ كـتـابـةـ التـارـيـخـ اـسـلامـيـ عـلـىـ أـسـسـ جـديـدةـ وـبـنـهـجـ آـخـرـ . يـجـبـ انـ يـنـظـرـ إـلـىـ الحـيـاةـ اـسـلامـيـةـ منـ زـاوـيـةـ جـديـدةـ ، وـتـحـتـ أـضـواـءـ جـديـدةـ . لـكـيـ تعـطـيـ كلـ أـسـرـارـهاـ وـأـشـعـاعـاتـهاـ ، وـتـنـكـشـفـ بـكـلـ عـنـاصـرـهاـ وـمـقـومـاتـهاـ ..

فيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ الـجـديـدةـ يـجـبـ أنـ تكونـ المـصـادـرـ الـعـرـبـيـةـ

هي المرجع الأول ، والدراسات الغربية هي المرجع الثاني . على أن ينتفع من هذا المرجع الآخر ، بتحرير النصوص وتنسيقها ، وببعض الموازنات بين شتى الروايات من جهة السندي ، ولا شيء بعد ذلك أبداً . فبقية العمل يجب أن تكون ذاتية بختة ، غير متأثرة إلا بمنطق الحوادث ذاتها بعد أن يعيش الباحث بعقله وروحه وحسه في جو الاسلام عقيدة وفكرة ونظام . وفي جو الحياة الاسلامية كقطعة من حياة البشرية الواقعية . وهذه الحياة في هذا الجو ضرورية جداً لتفتح نوافذ ادراكه جميماً ، لا لفهم تلك الحياة فحسب ، بل لإدراكها ككائن حي ، وإدراك موقع الحوادث والواقع في جسم هذا الكائن الحي .

وانه ليعز على الباحث في أية فترة من الحياة الانسانية ان يدركها إدراكاً حقيقياً داخلياً ، إلا ان يتباين معها بكل ذاتيته ، وان يعيش في جوها بكامل مؤثراتها وإيحاءاتها ، فليست هذه خصيصة قاصرة على الحياة الاسلامية . وإن كانت أكثر وضوحاً بالقياس الى الحياة الاسلامية ، لأن مقومات هذه الحياة تختلف في كثير من

أنواعها وماهيتها عن مقومات الفترة الحاضرة وبخاصة في  
العالم الأوروبي .

وانه ليصعب أن تتصور إمكان دراسة الحياة الإسلامية  
كاملة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية ولطبيعة  
فكرة الإسلام عن الكون والحياة والانسان ، ولطبيعة  
استجابة المسلم لتلك العقيدة وطريقته في الاستجابة للحياة  
كلها في ظل تلك العقيدة . وهذه الخصائص كلها لا يمكن  
أن تطلب عند باحث غير عربي بوجه عام ، ولا عند غير مسلم  
على وجه التخصيص ، وهي الخصائص التي لا بد من توافرها  
عند إعادة كتابة التاريخ الإسلامي .

انه لا بد من إدراك البواعث الحقيقة لتصرفات الناس  
في خلال هذه الحياة التاريخية الإسلامية وعلاقة هذه البواعث  
بالحوادث والتطورات والانقلابات . ولا بد من ربط هذا  
كله بطبيعة الفكرة الإسلامية وما فيها من روح اقلالية  
ثورية – لا في شكلها الخارجي وخطواتها العملية فحسب –  
ولكن في تفسيرها للعلاقات الكونية وال العلاقات الإنسانية  
والعلاقات الاجتماعية . وفي تصويرها لنظام الحكم وسياسة

المال وطرق التشريع ووسائل التنفيذ الخ . وهي كلها من مقومات الحياة وبالتالي من مقومات التاريخ هذه الحياة .

ان المعارك الحربية والمعاهدات السياسية والاحتياكات الدولية .. وما اليها ، مما يعني به التاريخ غالباً أكثر من سواه .. انها كلها محكومة بعوامل اخرى هي التي يجب أن تبرز عند كتابة التاريخ .. هذه العوامل هي التي يختلف الباحثون في إدراكيها وتقديرها ؛ كل يخضع للفاسفة التي تسيطر على تفكيره وتقديره ، أي لطريقة ادراكه للحياة في عمومها ، وللباحث المسلم مزية هنا في دراسة الحياة الاسلامية ، لأن طريقة ادراكه للحياة متصلة الى حقيقة هذه العوامل المؤثرة في سير التاريخ . ومن ثم فهو أقدر على التلبس بها واستبطانها ، والاستجابة لها استجابة كاملة صحيحة .

وعلى ضوء ادراكه لطبيعة العقيدة الاسلامية وطريقة استجابة المسلمين لها ، يستطيع ان يزت دوافع الحياة الاسلامية في تلك الفترة التاريخية والقيم الانسانية الكامنة فيها وأسباب النصر والهزيمة في كل خطوة . وان يتصور

الحياة الظاهرة والباطنة لتلك الجماعات الإنسانية في مهد الإسلام الأول وفي البلاد التي انساح فيها ، فيضم إلى الجوانب الظاهرة التي لا يدرك الغربيون سواها في الغالب، كل الجوانب الروحية الخفيفة التي يعدها الإسلام واقعاً من الواقع ، ويعصب لها حساها في سير الزمان وتشكل الحياة في كل زمان ومكان .

ولما كانت الحياة الإسلامية فترة من الحياة البشرية ، والمسلمون جماعة من بني الإنسان في حيز من الزمان والمكان والإسلام رسالة كونية بشرية غير محدودة بالزمان والمكان .

فإن التاريخ الإسلامي لا يمكن فصله من التاريخ الإنساني. وقد تأثرت تلك الفترة – من غير شك – بتجارب البشرية كلها من قبل ، وبخاصة تلك العوامل التي كانت واقعة عند مولد الإسلام، ثم ثرت بدورها في تجارب البشرية من بعد وبخاصة تلك الجهات التي امتدت إليها أو جاورتها. فلا بد اذن عند كتابة التاريخ الإسلامي من الإمام

بالصورة التي انتهت إليها تجارب الإنسانية قبيل مولد الإسلام والحالة التي صارت إليها المجتمعات البشرية في الأرض وبخاصة من ناحية العقائد الدينية وسائر ما يتعلق بها من أفكار وفلسفات ونظريات . ومن ناحية الأوضاع الاجتماعية وما يتعلق بها من نظم الحكم وسياسة المال وعلاقة المجتمع والأخلاق والعادات والأفكار . كي تتبين على صوتها حقيقة دور الإسلام وطبيعته . ويمكن تفسير استجابة العالم لهذا النظام الجديد قبولاً أو رفضاً وتصور أسباب الصراع وعوامل النصر والمزيدية كاملة، وعنصر التفاعل والتدافع والتلاقي والانعكاس على مر الأيام .

وإذا كان الإسلام بوضع العالم اذ ذاك ضرورياً فإن الإسلام بوضع الجزيرة العربية وتصور الحياة فيها من كافة نواحيها أكثر ضرورة بوصفها مهد الإسلام الأول من جهة، ومركز التجمع والانسياح من جهة أخرى .

فهل كانت مصادفة عابرة أن يظهر هذا الرسول بهذا الدين في هذا الموضع من الأرض في هذا الزمان ؟ إن هنالك نظاماً مقدوراً أو قصداً مقصوداً وتدبيراً معيناً وترتيباً

موضوعياً لتلتقي هذه الظواهر كلها حيث التقت في تؤدي دوراً معيناً ليس أقل نتائجه تخطيط خريطة العالم في عالم الظاهر وفي عالم الشعور على هذا الوضع الذي صارت إليه الأمور منذ ذلك التاريخ البعيد ..

ولعل هذا الحاطر أن يسوق إلى دراسة «محمد الرسول» في هذا السياق الكوني للتاريخ . ولعل في شخصه وفي نسبة وفي بيئته حياته وفي تقاليد بيته .. وفي سائر ما يحيط بالفرد الانساني من مقومات . عوامل مقصودة وموافقات مدبرة وإنما لم تكن مصادفة عابرة ان يشار إليه من بين المجموع البشرية الحاشدة وان يقال له : انت . فانتداب لهذا الحدث الكوني الذي لم يسبق ولم يلحق بنظير .

ولعله كذلك أن يسوق الى دراسة طبيعة هذا الحدث والفكرة الكلية التي يتضمنها قبل البدء في دراسة الاحداث والانقلابات العالمية التي تمت على اساسها .

وبذلك تتهيأ للقاريء مثل هذا التاريخ صورة مستكملة الجوانب لكل الوضاع والاحوال التي نشأت

عنها الاستجابات التي وقعت بالفعل في تاريخ الاسلام في الفترة التي تلت ظهوره كما يتيهنا له تفسير هذه الاستجابات تفسيراً صحيحاً مستكملاً لكل عناصر الحكم والتقدير .

وبذلك يستحيل التاريخ عملية استبطان وتجاوب في خصائص الاشياء والاشخاص والأزمان والأحداث . ويحصل بناموس الكون ومدارج البشرية ويصبح كائناً حياً ومادة حياة .

ومعنى استقام البحث على ذلك النهج الذي أسلفنا في « مقدمات التاريخ الاسلامي » وبرزت تلك المقومات الأساسية لطبيعة الدعوة وطبيعة الرسول وطبيعة البيئة التي استقبلت الدعوة واستقبلت الرسول ، وطبيعة المجتمع الانساني الذي كان يعاصر مولد الاسلام وطبيعة العقائد والأفكار التي كانت تسوده يوم ذاك .

متى برزت تلك المقومات الأساسية سهل تتبع نشاطها وتفاعلها وصيرورتها ، وأمكن تصوير وتصور خطوات الدعوة على عهد الرسول ﷺ ، هذه الخطوات التي تسير

متاثرة في هذا الجيل أن نعرف كيف اختار الرسول رجاله، ومن أية طينة كان هؤلاء الرجال؟ وكيف صاغ الرسول رجاله وكيف أعدهم للمهمة العظمى؟ وكيف بنى الرسول نظامه وعلى أي الأسس قام هذا النظام الجديد؟ وماذا كان في طبيعتها وفي ظروفها وفي رجالها وبيوتها وعشائرها وفي علاقاتها الاجتماعية وملابساتها الاقتصادية والجغرافية والجيوية .. من استعداد لتلبية هذا الحدث أو معارضته؟. إلى آخر هذه المباحث التي تصور المرحلة الأولى من مراحل حياة الإسلام أو من تاريخ الإسلام والتي تصح تسميتها باسم «الإسلام على عهد الرسول».

ثم تجيء المرحلة الثانية مرحلة «المد الإسلامي» وذلك عندما انساح الإسلام في مشارق الأرض وغاربها. عندما فاض ذلك الفيض الانفعالي العجيب الذي لم يعرف له العالم نظيرآ في سرعته وفي قوته. لا من ناحية الفتح العسكري وحده ولكن من ناحية التأثير الروحي والفكري والاجتماعي أيضاً : أي من الناحية الإنسانية الشاملة التي شهدت تحولاً كاملاً في خط سير التاريخ على مولد هذا الدين

الجديد وانتشاره ذلك الانتشار العجيب .

وهنا تبدو قيمة النهج الذي اشرنا إليه . ويكون تتبع  
أعمال الهدم والبناء التي قام بها الاسلام في تلك الرقعة  
الفسحة التي امتد إليها ، وتفاعلها مع الأفكار والعقائد التي  
كانت سائرة فيها ، ومع النظم الاجتماعية التي كانت تظللها  
ومع الظروف الاقتصادية والمخلفات التاريخية والملابسات  
الانسانية ، في أخصب بقاع الأرض وأكثرها حضارة  
في ذلك الزمان .

والى الاسلامي لم يقف عند الحدود التي وصلت إليها  
فتوجهاته العسكرية، فلقد امتدت الموجة الفكرية والحضارة  
التي كونتها الى ما وراء حدود العالم الاسلامي قطعاً . ولا بد  
من دراسة آثار هذا المدى ما وراء هذه الحدود . دراستها  
طرداً وعكساً في حياة العالم الاسلامي ذاته ، وفي حياة  
العالم الاسلامي كله . فقد أخذ هذا العالم من الاسلام وأعطى  
وقد تأثر به وأثر فيه . ودراسة هذه التفاعلات في ضوء  
المنهج الذي صورنا خصائصه كفيلة بأن تنشئ صورة للعالم

الانساني وخطواته الحية مختلفة قليلاً أو كثيراً عن الصورة التي اعتاد الغربيون أن يرسموها والتي اعتدنا نحن أن نراها!

ثم يجيء دور «الانحسار الم الاسلامي»، وعلى ضوء هنا المنهج وضوء دراسة المراحل التاريخية السالفة يمكن أن نتبين أسباب هذا الانحسار وعوامله الداخلية والخارجية جميعاً . كم من هذه العوامل من طبيعة العقيدة الاسلامية والنظام الاسلامي؟ ثم هل كان هذا الانحسار شامل أم جزئياً؟ وسطحياً أم عيناً؟ وما أثر هذا الانحسار في خط سير التاريخ، وفي تكييفه أحوال البشر وفي قواعد التفكير والسلوك وفي العلاقات الدولية والانسانية؟ وما وزن الأفكار والنظم والعقائد التي استحدثتها الانسانية بالقياس إلى نظائرها في الاسلام؟ وماذا كسبت البشرية وماذا خسرت من وراء انحسار الم الاسلامي وظهور هذا المد الاوربي الذي ما تزال تطلتنا بقاياه .

ومن ثم يصبح الحديث «عن العالم الاسلامي اليوم» طبيعياً وفي أوانه ، وقامئاً على أساسه الواضحة الصريحة

وليس حديثاً تليه العاطفة أو التعصب من هذا الجانب أو ذاك ويصبح التاريخ الإنساني في – ضوء منه جنا الخاص – مسلسل الحلقات متشابك الأواصر ، ويتحدد دور الإسلام في هذا التاريخ في الماضي وفي الحاضر وتتبين خطوطه في المستقبل على ضوء الماضي والحاضر .

ولكن . لماذا تجب إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على أساس هذا النهج وهذا النسق وهذا الاتجاه ؟

سؤال في وقته المناسب وجوابه ضروري وأسبابه معقولة .

إن هنالك أكثر من داع لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي على هذا النهج الجديد لمصلحة الحقيقة ولمصلحة الأمة الإسلامية ولمصلحة العالم الإنساني .

لقد تبين من مقدمات هذا الحديث أن التاريخ الإسلامي الذي بين أيدي الناس في مشارق الأرض ومغاربها أما انه بمعشر في المراجع العربية القديمة – وهذه يصعب الارتفاع

بها للقارئ المعاصر بصفة عامة ويتعدّر بالقياس الى غير العارفين باللغة العربية – واما انه في صورة دراسات منظمة ولكنها معروضة من زاوية النظر الغربية التي كشفنا عنها فيها من نقص وقصور – على فرض النزاهة العلمية المطلقة وهو ما لا يمكن ضمانه في حالات كثيرة .

ومن ثم فالحقيقة وحدها تختم علينا أن نعيد كتابة التاريخ الاسلامي من زاوية أخرى . فان لم تكفل هذه الزاوية رؤية أكمل وأدق وأعمق ، فهي على الأقل تكفل توسيع مدى الرؤية وجوانبها عند موازنتها أو ضمها الى الزاوية الغربية التي يعتمد الناس عليها ونعتمد نحن أيضاً عليها فيما نكتبه في العصر الحديث !

هذه واحدة .. والثانية أنتانا نحن – الأمة الاسلامية –  
إنما ننظر الآن الى أنفسنا وإلى سوانا بعدسة صنعتها أيدٍ أجنبية عننا ، أجنبية عن عقيدتنا وتاريخنا ، أجنبية عن مشاعرنا وإدراكتنا ، أجنبية عن فهمنا للأمور واحساسنا بالحياة وتقديرنا للأشياء ..

ثم هي بعد ذلك كله – مغرضة – في الغالب – تبغي لنا الشر لا الخير . لأن مطاعها ومطامعها ومصالحها الخاصة وأهدافها القومية .. كلها تدفع بها دفعاً لأن تبغي لنا الشر ، لأن خيراً لا يتفق مع أطماعها ، ولأن مصالحنا تعطل مصالحها.

وحتى على فرض تجربة هذه الأيدي التي تكتب لنا تاريخنا من الغرض والهوى ، فإن أخطاء النهج الذي تتبعه كفيلة بأن تشوه الحقائق التاريخية في غير صالتنا .. وصالحتنا في أن نرى حقيقة دورنا في تاريخ البشرية وان نعرف مكاننا في خط سير التاريخ وأن تتبين قيمتنا في العالم الإنساني وليست فائدة هذا فائدنة نظرية فكرية مجردة بل أنها أكبر من ذلك وأشمل ، فعلى ضوئها يمكن أن نحدد موقعنا الحاضر ودورنا المتقبل وأن نسير في أداء هذا الدور على هدى ومعرفة بالظروف والعوامل العالمية المحيطة بنا وبقدار الطاقة التي نواجه بها هذه الظروف والعوامل .

ونحن ندرس في مدارسنا ومعاهدنا على وجه الخصوص تاريخاً إسلامياً مشوهاً وتاريخاً أوربياً مضخماً لا عن حد

خطأ غير مقصود ولكن عن نية مبيتة من الاستعمار الغربي الذي يهمه أن لا نجد في تاريخنا ما نعتز به وأن نرى أوروبا على العكس هي صاحبة الدور الأول في التاريخ الإنساني فإذا يشتنا من ماضينا واستعرضنا دورنا في حياة البشرية وامتلأت نفوسنا مع ذلك إعجاباً بالدور الذي قام به أوروبا وإكباراً للرجل الأبيض.. سهل قيادتنا على الاستعمار وتطامنت بريأتنا القومية ، وذلت رقابنا للمستعمرين .. وتحت تأثير هذه العوامل كتب التاريخ الذي ندرسه في مدارسنا ومعاهدنا بوجه خاص .

واعادة كتابة التاريخ الاسلامي على النهج والنسق الذي وصفناه هو وحده الكفيل بأن يكشف هذه الأمانةيل وأن يثبت حقيقة الدور الذي أداء الاسلام والدور الذي أدته الحضارة الاوروبية بعد ما يصور طبيعة هذا الدين وطبيعة النظام الذي ينبثق منه ومدى ما منع البشرية من التغير والتقدم ، وضخامة الدور الذي أداء لبني الانسان .

والثالثة أنه ليس من مصلحة هذه الانسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية واحدة لا تكشف عن كل جوانبها

وان تسودها فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها وأن تجاهل الدوافع الكاملة لسيرها وتحركها والقيم الأساسية لحياتها وحضارتها .. وأن هذا الجهل لينشئ أخطاء عميقة الأثر لا في التصور والتفكير فحسب ، ولكن في علاقات الأمم بعضها ببعض وفي علاقات الكتل الدولية بعضها ببعض ، كما ينشئ أخطاء بعيدة المدى في تكيف سياسة كل أمة وتوجيهها ..

هذه الأخطاء ينشأ معظمها من سوء دراسة التاريخ البشري وسوء تقدير الدور الذي قام به الإسلام والذي يمثله العالم الإسلامي ، هذا العالم الذي يمثل وحدة إنسانية ثابعة لها كل خصائصها المستقلة ، ويمثل قوة إنسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها العسكري الطارئ إلا تأثيراً عارضاً في وزنها الحقيقي .

ولهذا التصحيح قيمة في حساب المصلحة الإنسانية العامة وكم لاخطاء التاريخ من أثر في اقامة الحواجز بين بعض الأمم وبعض العناصر وبعض الكتل ، وكم لها من أثر في سوء تقدير الجماعات للجماعات ،

والاجناس للإيجناس والافراد للأفراد فضلاً عن سوء التقدير للأفراد والمبادئ والحضارات .. وكل هذا يؤذى البشرية في حاضرها ويؤذنها في مستقبلها . ومن واجب القادرين إزالته وازالة آثاره بالتصحيح الواجب والتعریف المستثير .

وبعد فانه ينبغي إن يقال: إن دراسة من هذا الطراز وعلى هذا النسق لن يكون من برئاجها تناول الحوادث التاريخية بالتسليسل الحرفي والتفصيل الوافي ، فوظيفتها الأساسية اشبه شيء بوظيفة الخط البياني يشير ولا يحصي ويرشد ولا يستقصي . وبعبارة أخرى ان وظيفة دراسة من هذا النوع هي محاولة إيجاد عقلية تاريخية معينة وصورة تاريخية خاصة تفيد الذين يتناولون الحوادث التاريخية بالتفصيل والشخصيات التاريخية بالتحليل .

وما من شك ان استقرار هذا النهج في حقل الدراسات التاريخية سيعين على وضوح خصائص الشخصية الاسلامية والدور الاسلامي في حياة البشرية، الأمر الذي من شأنه أن

## تحلل الشخصيات الاسلامية بل الشخصيات الانسانية في سياق صحيح .

ان قيمة هذا النوع من الدراسة أن يقيم النهج ، ويشرع السنن ، ويرسم الطريق ، فإذا نجح في أداء مهمته كان ذلك توفيقاً أَيْ توفيق<sup>(١)</sup>

---

(١) تألفت جماعة مسلمة ل إعادة كتابة التاريخ الاسلامي وفق هذا النهج وقد قسمت الجماعة حقول البحث الى المراحل التالية : « مقدمات التاريخ الاسلامي » « الاسلام على عهد الرسول » « المد الاسلامي » « الانصار الاسلامي » « العالم الاسلامي اليوم » و الجماعة مؤلفة من الاساتذة : الشيخ صادق عرجون والدكتور محمد يوسف موسى والدكتور عبد الحميد يونس والدكتور محمد النجار وميد قطب ، وعلى الله التوفيق .

# طَرِيقٌ وَحْيٌ

يُوماً بعد يوم يتبيّن أن هنالك طريقةً معيناً للشعوب الإسلامية كلها في هذه الأرض ، يمكن أن يؤدي بها إلى العزة القومية ، وإلى العدالة الاجتماعية ، إلى التخلص من عقابيل الاستعمار والطغيان والفساد .. طريقةً وحيداً لا ثانية له ، ولا شرك فيه ولا مناص منه .. طريق الإسلام ، وطريق التكتمل على أساسه .

إن أحداث العالم وملابسات الظروف و موقف  
الشعوب الإسلامية .. كلها تشير إلى هذه الطريق الوحديد  
الذي لا تغليه عاطفة دينية ولا تحتمه نزعة وجданية .. إنما  
تغليه الحقائق والواقع ويليه الموقف الدولي ، ويليه حب  
البقاء ، وتلتقي عليه العاطفة والمصلحة ويتصل فيه الماضي  
بالحاضر وتشير إليه خطوات الزمن ومتطلبات الحياة .

لقد أكلنا الاستعمار الغربي فرادي ، ومزقنا قطعاً

ومزقاً يسهل ازدرادها وأرث بیننا الاحقاد والمناقشات لحسابه لا لحسابنا ، وجعل في كل بلد إسلامي طابوراً خامساً ، من ترتبط مصالحهم بمصالحة ، ومن يرون أنفسهم أقرب إلى هذا الاستعمار منهم إلى شعوبهم وأوطانهم وأقاموا ضماعاً معينة ، في كل بلد إسلامي تسمح له بالتدخل وتغلي في البقاء ، وتضمن له أنصاراً وأذناباً في كل مكان .

فالى أين تتجه لنكافح الاستعمار وأذنابه وأوضاعه . إن أناساً من المخدوعين والمغرضين يدعونا أن تتجه إلى الكتلة الشرقية ، الكتلة الشرقية التي تحظى بالإسلام وال المسلمين محواً منظماً ثابتاً في أرضها منذ أن استقرت فيها الشيوعية والتي تتخذ مع المسلمين في أرضها من وسائل الافناء المنظم ما لم يعرفه التتار ولا الصليبيون في أشد عصورهم قسوة وفظاعة .

لقد كان عدد السكان المسلمين في الأرض الروسية اثنين وأربعين مليوناً من المسلمين عند ابتداء الحركة الشيوعية فتناقص عددهم تحت مطارق الافناء المنظم ، والقتل والتجويع والنفي إلى سiberيا حتى وصلوا في خلال ثلاثة عاماً فقط إلى ستة وعشرين مليوناً ..

ستة عشر مليوناً من المسلمين في الأرض الروسية وحدها قد أيدوا .. أما في الصين الشيوعية فالمأساة تتكرر في تركستان الشرقية ، بنفس الوسائل ونفس البشاعة .. وفي يوغسلافيا تم حركة التطهير من العنصر الإسلامي .. وفي البنانيا كذلك .. كل أرض مستها الشيوعية قد تزلت فيها النكمة على رؤوس المسلمين بشكل وحشي يروي الفارون منه أخباره وتفصيلاته، كما تروى أساطير الممجحة الأولى .

ولقد ذاق المسلمون من قبل على يد القيصرية الروسية ما ذاقوا باسم العصبية الدينية، فأما اليوم فهم يذوقون الويل نفسه ، بل أشد وأشنع ولكن باسم العصبية الشيوعية .. وهي في حقيقتها روح واحدة ، الروح الصليبية التي لاتتساها أوروبا أبداً ، منها تبدل فيها النظم .. الروح الصليبية التي نطق باسمها الماريشال - اللتبني - وهو يدخل بيت المقدس في الحرب العظمى الماضية فيقول : ( الآن انتهت الحروب الصليبية ) والتي ينطق باسمها الجنرال كاترو في دمشق سنة ١٩٤١ فيقول (نحن أحفاد الصليبيين ، فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل ) وينطق باسمها زميل له في المزاير سنة ١٩٤٥ بنفس اللفاظ والمعنى .. إنها هي في أوروبا

كما هي في أمريكا ، وكما هي في البلاد الشيوعية . كلها تنضح من إباء واحد : إباء الحقد على الاسلام والتعصب الصليبي النميم . يضاف إليه تعصب الشيوعية ضد الأديان جميعاً . وضد الاسلام على وجه الخصوص .

ويتشدق أقوام هنا بالحرية الدينية في الكتلة الغربية . كما يوه أقوام بالحرية الدينية في الكتلة الشرقية .. وكلهم خادع أو مخدوع ، والحوادث والواقع تنطق بان المسلمين غير مرحومين عند الغرب أو عند الشرق .. فكلامها عن غير راحم . إن الغرب الذي يتتص دماء المسلمين بالاستعمار القذر اللثيم . وإن الشرق هو الذي يسيدهم إبادة منظمة تتولاها الدولة تحت شتى العناوين .

ويعرض علينا المخدوعون والخادعون أحياناً نصوص الدستور السوفييتي ، ومادة فيه تنص على حرية الاعتقاد . نعم لك حرية الاعتقاد في الاتحاد السوفييتي ، على ألا تسر لك بطاقة للتمويل – وليس هنالك وسيلة غير هذه البطاقة لتحصل على الطعام والشراب والكساء – ولذلك أن تعبد الله إذن كما تحب وليس لك أن تأكل من مخازن الدولة وأن تستهلك تشاء : الموت جوعاً مع الله .. أو الحياة الحيوانية مع ستالين .

إنه ليس الطريق أن تنضم إلى كتلة الغرب أو كتلة الشرق، كلتاها لناعدو ، وكلتاها كارثة على البشرية ، وعلى الروح الإنسانية .. لقد تكون الشيوعية في أرضها نعمة على أهلها ، ولقد تكون الديقراطية في أرضها نعمة على أهلها .. ولكن هذه وتلك بلاء ونقمـة – على الشعوب الإسلامية، الاستعمار بلاء واقع يجب كفاحه . والشيوعية بلاء واقع كذلك على ملايين المسلمين الواقعين في براثنه . والوطن الإسلامي كله وحدة ، ومن اعتدى على مسلم واحد ، فقد اعتدى على المسلمين أجمعين .

إنه ليس الطريق أن نلقي بأنفسنا إلى التهلكة هنا أو هناك ، فلقد حارب الاستعمار الغربي كل مقوم حقيقي من مقومات الإسلام ، وإن تظاهر بالبقاء على المظاهر الموهنة التي لا تقاومه ولا تكافحه .. وحيثاً اجتمع مؤتمر جمـيع البشرـين في جـبل الـزيتون بـفلـسـطـين عام ١٩٠٩ وقف مـقرـر المؤـتمر ليـقول : إن جـهـودـ التـبـشـيرـ الغـرـبيـةـ فيـ خـلـالـ مـائـةـ عـامـ قدـ فـشـلتـ فـشـلاـ ذـريـعاـ فيـ العـالـمـ الـاسـلامـيـ لأنـهـ لمـ يـنـتـقلـ منـ الـاسـلامـ إـلـاـ وـاحـدـاـ منـ اـثـنـيـنـ إـمـاـ قـاصـرـ خـضـعـ بـوـسـائـلـ الـاغـرـاءـ أـوـ بـالـإـكـراهـ إـمـاـ مـعـدـمـ تـقطـعـتـ بـهـ أـسـبـابـ الرـزـقـ فـجـاءـنـاـ مـكـرـهـ لـيـعيـشـ ..ـ وـهـنـاـ وـقـفـ القـسـ زـويـرـ

- المعروف للعصرىين - ليقول: كلا. ان هذا الكلام يدل على أن المبشرى لا يعرفون حقيقة مهمتهم في العالم الإسلامي . انه ليس من مهمتنا ان نخرج المسلمين من الاسلام الى المسيحية كلا! انا كل مهمتنا ان نخرجهم من الاسلام فحسب ، وأن نجعلهم ذولين لتعاليمنا ونقوذنا وأفكارنا . ولقد نجحنا في هذا بجاحاً كاملاً، فكل من تخرج من هذه المدارس: لا مدارس الارساليات فحسب ولكن المدارس الحكومية والأهلية التي تتبع المذاهب التي وضعناها بآيدينا وأيدى من ربناهم من رجال التعليم . كل من تخرج من هذه المدارس خرج من الاسلام بالفعل وإن لم يخرج بالاسم . وأصبح علينا في سياستنا دون أن يشعر ، أو أصبح مأموناً علينا ولا خطير علينا منه .. لقد نجحنا بجاحاً منقطع النظير ..

هذا موقف الكتلة الغربية . فاما الكتلة الشرقية ، فقد اختارت الاففاء المنظم . والإبادة الوحشية بمعرفة الدولة ، وما تزال ماضية في طريقها نحو الاسلام والمسلمين .

ان طريقنا واضح ، طريقنا الوحيد أن نخفي في تكتل اسلامي ، هو وحده الذي يضمن لنا البقاء ويضمن لنا الكرامة ، ويضمن لنا الخلاص من الاستعمار وأذاته وأوضاعه ، كما يضمن لنا أن نقف سداً في وجه التيار

الشيعي المظلوم المبيد .

والتكلل الاسلامي لا يعني التعصب في أي معنى من معانيه .. ان الاسلام هو الضمانة الوحيدة في هذا العالماليوم لوقف حركة التعصب ضد الخالفين له في العقيدة فهو وحده الذي يعترف بحرية العقيدة ويرعاها ، في عالم الواقع لا في عالم النصوص . وهو وحده الذي يمكنه أن يضمن السلام للبشرية كلها في ظلله ، سواء من يعتقدونه ومن لا يعتقدونه .. انه لا يستعمل استعمار الغرب الآثم الفاجر ، ولا يبيد مخالفيه لإبادة الشيعية الكافرة الماجحة .. انه النظام العالمي الوحيد .. الذي تستطيع جميع الأجناس ، وجميع العوائد أن تعيش في ظله في أمن وسلام .

وطريقنا إذن أن نرفض كل ارتباطه الى عجلة الاستعمار - تحت أي اسم وأي عنوان - وأن نرفض في الوقت ذاته كل دعاية تدفعنا الى فكى ذلك الغول الشرقي ، الذي يبيد المنصر الاسلامي في أرضه بقسوة وشناعة ، لا يقرها المجتمع في أحلام عصور التاريخ .

انه طريق وحيد، طريق الكرامة، وطريق المصلحة .. وطريق الدنيا ، وطريق الآخرة .. انه الطريق الى الله في السماء والى الخير في الارض .. والى النصر والعزيمة والاستعلاء .. انه هو الطريق .

## يصدر عن دار الشروق

في شرعية قانونية كاملة

مكتبة الأستاذ سيد قطب

- دراسات إسلامية
- نحو مجتمع إسلامي
- في التاريخ فكره ومنهج
- تفسير آيات الريا
- تفسير سورة الشورى
- كتب وشخصيات
- المستقبل لهذا الدين
- معركتنا مع اليهود
- معركة الإسلام والرأسمالية
- العدالة الاجتماعية في الإسلام
- في ظلال القرآن
- مشاهد القيامة في القرآن
- الصور الفنية في القرآن
- الإسلام ومشكلات المعاشرة
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
- النقد الأدبي أصوله ومتاهجه
- مهمة الشاعر في الحياة
- هذا الدين
- السلام العالمي والإسلام
- معالم في الطريق

مكتبة الأستاذ محمد قطب

- قيسات من الرسول
- شبهات حول الإسلام
- جاهلية القرن العشرين
- دراسات قرآنية
- مفاهيم ينبغي أن تصبح
- مذاهب فكرية معاصرة
- كيف تكتب التاريخ الإسلامي
- ثغت الطبع
- المستشرقون والإسلام
- الإنسان بين المادية والإسلام
- منهج الفن الإسلامي
- منهج التربية الإسلامية (الجزء الأول)
- منهج التربية الإسلامية (الجزء الثاني)
- معرفة التقاليد
- في النفس والمجتمع
- التطور والتثبات في حياة البشرية
- دراسات في النفس الإنسانية
- هل نحن مسلمون

## من كتب دار الشروق الإسلامية

- الفكر الإسلامي بين العقل والوحى  
الدكتور عبد العال سالم مكرم
- على مشارف القرن الخامس عشر الهجري  
الأستاذ ابراهيم بن علي الورير
- رسالة الخالدة  
الأستاذ عبد الرحمن عزام
- محمد رسولًا نبأ  
الأستاذ عبد الرزاق بوغل
- مسلمون بلا مشاكل  
الأستاذ عبد الرزاق بوغل
- الإسلام في معرق الطرق  
الدكتور أحمد عروة
- المقروبة في الفقه الإسلامي  
الدكتور أحمد فتحي بنهى
- موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي  
الدكتور أحمد فتحي بنهى
- الجرائم في الفقه الإسلامي  
الدكتور أحمد فتحي بنهى
- مدخل الفقه الجنائي الإسلامي  
الدكتور أحمد فتحي بنهى
- القصاص في الفقه الإسلامي  
الدكتور أحمد فتحي بنهى
- المذمة في الشريعة الإسلامية  
الدكتور أحمد فتحي بنهى
- الإسراء والمعراج  
فضيلة الشيخ متول الشعراوى
- مصحف الشروق المفسر الميسر  
مختصر تفسير الإمام الطبرى
- تحفة المصاحف وقمة التفاسير  
في أحجام مختلفة وطبعات منفصلة لبعض الأجزاء
- تفسير القرآن الكريم  
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- الإسلام عقيدة وشريعة  
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- الفتاوى  
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- من توجيهات الإسلام  
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- إلى القرآن الكريم  
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- الوصايا العشر  
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- ال المسلم في عالم الاقتصاد  
الأستاذ مالك بن نبي
- أنياء الله  
الأستاد أحمد بهجت
- نبي الإنسانية  
الأستاد أحمد حسين
- ربانية لا وهابية  
أبو الحسن علي الحسبي الندوى
- الحججة في القراءات السبع  
تحقيق وتقديم الدكتور " سالم مكرم "

مناسك الحج والعمرة في ضوء المذهب الأربعة	لقضاء والقدر
الدكتور عبد العليم الطبعي	ضيلة الشيخ متولى الشعراوي
أيتها الولد المحب	لصايا إسلامية
الإمام المراري	ضيلة الشيخ متولى الشعراوي
الأدب في الدين	التعبير الفني في القرآن
الإمام المراري	الدكتور بكرى الشيخ أمين
شرح الوصايا العشر	أدب الحديث النبوى
للإمام حسن السا	الدكتور بكرى الشيخ أمين
القرآن والسلطان	الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين
الأستاذ همسي هريدي	الأستاذ عبد الكريم الخطيب
خطاباً الإسراء والمعراج	اليهود في القرآن
الأستاذ مصطفى الكبك	الأستاذ عبد الكريم الخطيب
الخطابة وإعداد الخطيب	أيام الله
الدكتور عبد الخليل شلي	الأستاذ عبد الكريم الخطيب
تأريخ القرآن	مسلمون وكفى
الأستاذ إبراهيم الأبياري	الأستاذ عبد الكريم الخطيب
الإسلام والمبادئ المستوردة	الدعوة الراهية
الدكتور عبد المم تم التر	الأستاذ عبد الكريم الخطيب
سلسلة أعلام الإسلام ١٦/١	قال الأولون - أدب ودين
سلسلة أهل البيت ٦/١	الأستاذ السيد أبو ضيف المدنى
ابهام علماء المسلمين في الرياضيات	قل يا رب
تأليف الدكتور علي عبد الله الداعع	الأستاذ السيد أبو ضيف المدنى
تعریب وتعليق الدكتور جلال شوقي	الإيمان الحق
مراجعة الدكتور عبد الزير السيد	المستشار علي جريشة
الخير الواحد في السنة والتراث وأثره في المقهى	الجديد حول أسماء الله الحسنى
الإسلامي	الأستاذ عبد المغني سعيد
الدكتورة سهير رشاد منها	الجائز والمنع في الصيام
الأهيان القديمة في الشرق	الدكتور عبد العليم الطبعي

رقم الإيداع . ٨٧/٥٣٣٥

التقىم الدولى : × - ١٤٨ - ١١٠ - ٩٧٧

## مطالع الشروق

القاهرة : ٨، شارع سبيوه المصرى - ت: ٤٠٢٢٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)  
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٢١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٢ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (١٠)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكتبة

سند قطر

في طلال القرآن  
العدالة الاجتماعية في الإسلام  
خصائص التصور الإسلامي ومقوماته  
القد الأدبي أصوله ومتاهجه  
كتب وشخصيات  
الإسلام ومشكلات الحضارة  
التصوير الفني في القرآن  
مشاهد القيامة في القرآن  
معركتنا مع اليهود  
تفسير سورة الشورى  
تفسير آيات الرما  
دراسات إسلامية  
السلام العالمي والإسلام  
معركة الإسلام والرأسمالية  
في التاريخ فكرة ومنهج  
معالم في الطريق  
هذا الدين  
المثيل لهذا الدين  
نحو مجتمع إسلامي